ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

جباليا القلعة الحصينة.. هل تكون الضربة القاضية لنتنياهو؟

شارل ابي نادر

لم تكن عملية توغل العدوّ الأخيرة والحالية باتّجاه جباليا ومعسكرها، في شمال قطاع غزّة، العملية الأولى في هذا المسار الذي اتّبعته وحداته في المرحلة الأخيرة أو الثالثة من عدوانه. ويقوم هذا المسار على تنفيذ عمليات خاصة خاطفة وسريعة وبجهود وقوى مختلفة ومتفاوتة، تحددها طبيعة منطقة الهدف والمعطيات الاستعلامية التي استحصل

عليها العدو، لناحية قوى المقاومة أو أسلحتها أو مستوى تحصيناتها في هذه المنطقة. فقد نفذ العدوّ عدة عمليات من ضمن هذه المرحلة الثالثة، في مناطق مختلفة، في شمال القطاع أو في وسطه أو في خان يونس، وانسحب منها بخسائر كبيرة أو بخسائر عادية، تبعًا لطبيعة كلّ اشتباك على حِدَةٍ. ولكن، يبدو أن عمليته الحالية في جباليا ستكون مختلفة بالكامل عن كلّ عملياته المماثلة المذكورة، وذلك لناحية حجم الخسائر أو التداعيات والتأثيرات على مجمل عدوانه المفتوح حتّى الآن على قطاع غزّة كله.

لناحية الخسائر:

حتّى الآن، يمكن القول إن خسائر العدوّ في جباليا ومخيمها، وخلال أسبوع تقريبًا من بدء العملية، قد تجاوزت ما خسره خلال المرحلتين الأولى والثانية منها، والتي امتدت لحوالي الخمسة أشهر تقريبًا. والمشاهد المنشورة لإخلاء مصابيه وقتلاه وبيانات الناطق العسكري في جيشه عن الاعتراف الواضح بخسائره تثبت ذلك. علمًا أن اعترافاته بالخسائر لم تكن يومًا صحيحة وكاملة من ناحية الأرقام، وذلك للكثير من الأسباب المعروفة، لكن يبدو أن ضخامتها اليوم أصبحت تمنعه من إخفائها والتستر عليها، ولو بالحد الأدنى.

طبعًا، هناك عدة أسباب وراء هذا العدد الضخم من الخسائر التي يتكبدها العدوّ في جباليا المعسكر وجباليا البلد، ويمكن تحديدها بالآتي:

- يبدو أن المقاومة الفلسطينية في جباليا قد أعدّت معركتها الدفاعية بإتقان، مستندة أساسًا إلى بنية دفاعية قوية سابقة، واجهت عبرها سلسلة طويلة من اعتداءات العدو وعملياته الخاصة. بالإضافة إلى أنها أفادت من تجربتها الأخيرة بمواجهة العدوّ في «طوفان الأقصى»، فكانت مرحلة انكفاء وحداتها عن شمال القطاع نسبيًا في المرحلة الأخيرة، فرصةً لتعزيز وتنظيم تحصيناتها الدفاعية وتجهيزًا لمناورة الاستهداف التي تنجح عبرها في مواجهة وحدات العدوّ حاليًا.

- في متابعة لطريقة القتال ولمناورة المواجهة التي تنفذها المقاومة حاليًا، في جباليا وفي رفح أيضًا، تظهر بوضوح فعالية أسلوب العمليات المركّبة التي أصبحت عماد معركتها اليوم، والتي تجمع بين إطلاق النار واستدراج العدوّ إلى مبنى يراه الأنسب والأقرب للاحتماء، فإذ به يكون مفخخًا، ومع تفجير التفخيخات، تعالج عناصر المقاومة الهدف بالقذائف المضادة للتحصينات وللأفراد، ولتتابع عناصر المقاومة مناورتها المركبة بتنفيذ كمين محكم ضدّ عناصر العدو التي تهرع لإخلاء المصابين.

والأهم من بين أسباب سقوط خسائر كبيرة للعدو، في عمليته الحالية على جباليا، هو أن وحداته تقاتل مرغمة لتنفيذ قرار سياسي غير متوازن، ومن دون أهداف واضحة ومن دون وجود خطة منظمة ومحدّدة، وبوجود خلافات عميقة بين الجانبين السياسي والعسكري، وحتّى هناك تباين كبير داخل الجانب العسكري نفسه، على خلفيات عدة، منها طريقة إدارة العمليات في مناطق محتمل جدًا وجود أسرى للعدو فيها، الأمر الذي يسبب ارباكًا وتخبطًا في عملياته، وينعكس في الميدان فشلًا وإصابات قاتلة.

لناحية التداعيات والتأثيرات على مجمل عدوانه المفتوح حتّى الآن على قطاع غزّة بكامله:

في الواقع، وفي متابعة لمسار العملية حاليًا في جباليا وفي معسكرها، لناحية المحاور المتشعبة التي يعتمدها العدوّ في توغله، أو لناحية العقد القتالية التي تواجهه المقاومة منها، لا يبدو أن هناك أفقًا واضحًا للعدو لإنهاء العملية بنجاح. إذ إنّ الأهداف غير واضحة، والتي على أساسها يمكن تحديد موعد إنهاء العملية، وحيث مستوى القدرة القتالية للمقاومة يتصاعد تدريجيًا مع كلّ توغل أعمق للعدو، ومع زيادة التوغلات للعدو وزيادة مساحات انتشار وحداته، تتعقد مناورته أكثر وأكثر، ولتكون النتيجة قتلى ومصابين أكثر وأكثر.

أيضًا، لا يمكن للعدو أن يفصل عمليته في جباليا عن عمليته في رفح، فهناك ارتباط عضوي وقيادي وعملياتي أساسي بين العمليتين، وبقدر ما هو يحتاج إلى قوى ولجهود لمحاولة إنهاء عملية جباليا بأقل قدر ممكن من الخسائر وبتحقيق الرمزي من المكاسب، هو أيضًا يحتاج إلى دفع جهود قوية إذا أراد اكمال مناورته الواسعة في رفح، والتي لا تقل خطورة عملانية عن جباليا، حيث تنجح وحدات المقاومة جنوبًا في رفح، مع مختلف فصائلها التي تنسق أعمالها القتالية بين بعضها البعض بمستوى رائع وفاعل، في تكبيد العدوّ أيضًا خسائر كبيرة، فتعيق تقدمه وتمنعه من السيطرة حتّى الآن على أي مساحة جغرافية حاول التوغل فيها.

في هذا السياق؛ ومع تكامل قتال المقاومة الفلسطينية بين رفح وبين جباليا، وفرض إيقاعها الذي تريده على مناورة العدو بالنار وبالعمليات المركبة الصادمة، ومع حجم الخسائر التي يتكبدها العدوّ في جباليا ومعسكرها وفي رفح، ومع العقم والعجز في تحقيق أي إنجاز عسكري أو ميداني - إلا قتل المدنيين فقط- وبالوقت نفسه مع صعوبة اتّخاذه قرارًا بالانسحاب من أي من العمليتين، في جباليا أو في رفح، وذلك لأسباب عسكرية ومعنوية وسياسية، ومع تعاظم ضغوط جبهات الإسناد اليمنية والعراقية واللبنانية على العدوّ وتأثيراتها الواضحة، يعيش قادة العدوّ اليوم، وخاصة نتنياهو، ورطة الفشل والعجز والهزيمة. ويبدو أن قرار رضوخهم والسير بالتسوية التي ما تزال مطروحة وبموافقة المقاومة الفلسطينية، أصبح أقرب بكثير من قرارهم بمتابعة مسار الانتحار الذي لا يمكن لأي متابع عاقل إلا وأن يكتشفه.

تكتيكات جيش العدو الهجومية الأخيرة وتحديات استراتيجيته للمعركة

احمد الحاج علي

كثرت التكهنات حول تقييم هجمات جيش الاحتلال الأخيرة على كلّ من رفح وحي الزيتون وجباليا، والتي رأى فيها كثيرون أسلوبًا جديدًا، وتحولًا استراتيجيًا في إدارة المعركة.

أما الواقع، فيتمثل في أن سلوك العدوّ الأخير ليس إلا تعبيرًا عن أزمة سياسية وعملياتية، تجلت في يأس القيادة العسكرية لجيش الاحتلال من إلحاق الهزيمة بحركة حماس، وعجز حكومة حرب الكيان عن الاستثمار السياسي لمجهود هذا الجيش المنهك.

وهكذا، فإن التكتيكات الهجومية الجديدة تأتي من دون متغير استراتيجي في توجهات إدارة الاحتلال للمعركة، وهي لا تعبر عن سلوك رؤيوي. ولم يُخفِ كبار قادة حرب الكيان وأكثرهم إجرامًا مثل يوآف غالانت وهيرتسي هاليفي هذه الحقيقة، ليتهموا المستوى السياسي بعدم بلورة استراتيجية اليوم التالي للحرب. كذلك، فإن غالانت رفض فكرة الإدارة العسكرية للقطاع؛ ما يعني عملياتيًا رفضه إبقاء قواته في معبر رفح، وفي خط الوسط.

عبارة واحدة لخصت مؤتمره الصحافي الأخير: «جهودي لإثارة قضية الحكم في غزّة بعد الحرب لم تنل استجابة من قبل حكومة نتنياهو».

أما هاليفي، فقد نُقل عنه أن «الجيش يعمل الآن في جباليا مرة أخرى، وفي ظلّ غياب عملية دبلوماسية لتطوير (هيئة حكم) في القطاع عدا حركة حماس، سيتعين على الجيش شن حملات عسكرية مرارًا وتكرارًا في أماكن أخرى لتفكيك البنية التحتية لهذه الحركة». وفي قراءته ستكون هذه المهمّة «سيزيفية»، أي لا متناهية وعديمة الجدوى.

وقد اكتمل المشهد بخطاب نتنياهو، حيث رد على مؤتمر غالانت وأركان الحرب بالقول إنه لا يوم تاليًا ما دامت حماس باقية، وإن «القضاء عليها هو السبيل لليوم التالي». وأكمل قادة اليمين المعزوفة بالمطالبة بتغيير غالانت لكي تتحقق أهداف الحرب.

وفي سياق خلاف نتنياهو وأركان حربه، تأتي استقالة المسؤول الاستراتيجي عن بلورة صورة اليوم التالي في مجلس ما يسمّى بـ«الأمن القوميّ الإسرائيلي» يورام بن حمو.

بيد أن أزمة اليوم التالي لدى قادة الكيان المؤقت ليست جديدة. لكن أداء المقاومة المميز في الأيام الأخيرة، والذي وُصف بأنه طوفان جديد، أسقط رواية الجيش عن هزيمة حماس وتفكيك قدراتها العسكرية والإدارية. كذلك، فإن ثبات قيادة الحركة السياسية، وأداء وفدها المفاوض بتفويض من الفصائل المقاومة كافة، قد جعلا الخلاف يطفو أكثر فأكثر على السطح عبر مؤتمرات صحافية لقادة الكيان، أصبح كلّ منهم فيها يغني على ليلاه، مع تسجيل تقدم واضح لمصلحة رؤية الجيش

بأن المستوى السياسي تأخر في استثمار جهده في هندسة اليوم التالي.

مصير التكتيك الإسرائيلي العسكري الجديد هو الفشل، ليس لافتقاره إلى رؤية استراتيجية فحسب، بل انطلاقًا من الأسباب والظروف العملياتية التالية:

١- عملت قيادة كتائب القسام الميدانية، وفصائل المقاومة الفاعلة على الأرض على استخلاص العبر من مرحلة المواجهة السابقة، وابتكرت أساليب وتكتيكات قتالية مستحدثة، برزت ملامحها في معارك شهري نيسان/أبريل، وأيار/مايو.

٢ - الصمود الأسطوري نفسه يسجل نصرًا غير مسبوق. فقد اضمحلت مهابة الحرب لدى المقاومين، وارتفعت روحهم المعنوية، العالية أصلًا، وبخاصة بعد فشل العدوّ في كسر إرادتهم القتالية، وإحباط مشروع المقاومة خلال المرحلة السابقة. والشواهد على ذلك تتجلى في حالة التسابق على الاشتباك المباشر مع العدوّ على نحو مذهل.

٣- من ناحية ثانية تعاني قوات الاحتلال من حالة العمى الاستخباري، ونفاد بنك الأهداف العسكرية الحقيقية. لذا، يلجأ جيش الاحتلال إلى التماس المباشر والتوغل الأعمى من أجل إنتاج أهداف. وذلك خلافًا لتكتيكه التقليدي القائم على ضرب جزء مهم من الأهداف قبل التوغل.

٤- على الرغم من امتلاك جيش الاحتلال عددًا كبيرًا من أفراد القوات الخاصة، فإن تمسكه بمبدأ تأمين قواته أفقده مرونة الحركة والقدرة على المناورة، وجعله جيشًا ثقيلًا يشبه «قطيع بط» يسهل اصطياده، مقابل مقاومين خفيفي الحركة ذوي رشاقة وقدرات فردية قتالية عالية.

٥ - تراجع الزخم الناري التمهيدي والإسنادي عن مستوياته خلال المرحلة الأولى للمعركة، سواء بسبب خطورة تلك النيران على عمليات التوغل، أو بسبب استنفاد مخازن الذخائر، والتقطير في الإمداد من الخارج، ليصبح التأثير أقل على أداء المقاومين.

٦- تستخدم كتائب القسام وفصائل المقاومة الفاعلة على الأرض تكتيك «دفاع البقعة»؛ ما يبطل مفاعيل الطريقة شبه الكلاسيكية لقوات الاحتلال في المواجهة الحالية، وفي هذا تفصيل.

مصانع إنتاج الذخيرة تعمل تحت الأنفاق..

تضمنت التقارير الميدانية لكتائب القسام وفصائل المقاومة ثلاثة عوامل أساسية للمسار العملياتي، والتي عززت قناعة القيادة السياسية بالصمود التفاوضي في مواجهة مراوغة حكومة حرب نتنياهو ومناوراتها، لابتزاز الشعب الفلسطيني ومقاومته، وممارسة مزيد من الضغوط للحصول على إفراج شبه مجاني عن أسراه.

العامل الأول: التقارير الميدانية وطبيعة المواجهة في الأيام الأخيرة أكدت تمكّن كتائب «القسام» و«سرايا القدس» من إعادة التموضع، وتجديد القدرات القتالية، لكي تعيد الانتشار في مناطق القطاع كافة، والتي انسحب منها جيش الاحتلال.

والدليل على تمكّن فصال المقاومة من امتصاص صدمة الضربات التدميرية خلال الأشهر الماضية يتمثل في الآتي:

ركزت فصال المقاومة الفاعلة في الآونة الأخيرة على استهداف خطوط إمداد قوات الاحتلال في محور «نتساريم» بواسطة قذائف الهاون من مسافات تكتيكية قريبة؛ ما أضعف قدرة العدوّ على استقراره وتثبيت قواته، وعزز موقف القيادة السياسية للمقاومة بعدم الاعتراف بأي ترتيبات فصل بين جنوب القطاع ووسطه عن شماله.

مصادر فلسطينية، نقلًا عن تقديرات موقف غرفة عمليات الفصائل المقاومة المشتركة، أفادت بتوفر كميات وافية من الذخائر، واستئناف تصنيع ما تحتاج إليه المواجهة في المرحلة المقبلة، وهي في الأساس أسلحة وذخائر تستخدم في الكمائن والاشتباكات المباشرة. إذ إن ورش التصنيع المحلي لا تزال تمتلك مخزونها السليم من المواد الأولية للتصنيع في أنفاق تحت الأرض. وتفيد التقديرات بأن الطاقة الانتاجية والقدرة على التصنيع تكفي لسنوات وليس لأشهر من المواجهة. وهذا ما أعدت المقاومة نفسها له مسبقًا.

العامل الثاني: هو أن كتائب رفح المقدر عددها بأربع، فضلًا عن تشكيلات فصائل المقاومة الأخرى، لم تستنفد مخزونها من الذخائر، ولم تمس قدراتها الصاروخية والقتالية عمليًا خلال أشهر المواجهة السبعة الماضية. وبذلك، فهي على أتم الجهوزية لأي تطوّر عملياتي في سياق المواجهة في رفح ومحيطها.

العامل الثالث: تمتلك المقاومة القدرة على انتهاج تكتيكات عمليات هجومية، بمجموعات صغيرة مكتفية ذاتيًا، تنفذ ضربات نوعية خلف خطوط العدوّ على طول محاور تقدُّمه، مع الاستمرار في نصب الكمائن الهندسية في نقاط الالتحام المباشر. وقد أثبتت مواجهات الأسبوع الأخير قدرة عالية لدى المقاومة على إدارة المعركة، وترشيد استخدام السلاح المناسب في الوقت المناسب على نحو متناسب مع حدة المواجهة وضروراتها. هذا إضافة إلى تأكيد القيادة الميدانية للمقاومة أن عديد مجموعاتها وتشكيلاتها المقاتلة لم تصب بخسائر مؤثرة، خلافًا لما يروج له قادة الاحتلال العسكريون. وقد نجحت كتائب القسام والفصائل في معالجة جملة من الأخطاء التكتيكية السابقة، وتمكّنت من حماية معظم الأنفاق العملياتية الاستراتيجية الرئيسة، التي بقيت في منأى عن خطر الاستهداف.

هذه العوامل الثلاثة وُضعت في يد القيادة السياسية، التي تبقي على أولوية وقف القتال بصورة شاملة من دون الحاجة إلى التضحية بثمن سياسي مخيب لتطلعات وصمود الشعب المقاوم.

• الخلاصة الواردة في هذه المقالة، تؤكد من ناحية أن المسار الاستراتيجي للمعركة يسير لمصلحة المقاومة، ويضع جيش الإحتلال في مأزق عملياتي واستراتيجي غير مسبوق في حروبه. ومن ناحية أخرى، فإن إمكانية التوصل إلى اتفاق ما زالت مستبعدة في ظل غياب الرؤية الإسرائيلية الخاضعة لجملة تناقضات سياسية وعسكرية، وفي ظل غياب القدرة لدى أحد الطرفين (السياسي والعسكري) على حسم القرار لمصلحته.

غانتس يقرّ بالفشل..لتغيير استراتيجي وتطبيع ومواصلة الحرب!

خليل نصر الله

ليس خافيًا حجم التصدع داخل مجلس الحرب «الإسرائيلي» الذي شكل أميركيًا بعد إعلان حالة الحرب. التصدع والخلافات بين الأضداد بدأت تتظهر بعد هدنة الأيام السبعة في غزّة، والحديث عن المرحلة الثانية ثمّ الثالثة، واليوم التالي بعد الحرب الغائب عن تصورات نتنياهو.

خرج بني غانتس عن صمته، ممهلًا نتنياهو، الذي اتهامه بالخضوع للمتطرّفين، حتّى الثامن من حزيران/يونيو لتلبية جملة من الطلبات، وهو ما يفهم على أنه محاولة من بني غانتس لإحداث صدمة داخل المجلس وتعديل مساره، خصوصًا أن مواصلة الحرب تحظى بإجماع لكن الخلاف حول الاستراتيجية والخطة، وهو ما يعكسه كثير من التصريحات الأميركية.

لكن قبل تبيان مقاصد بني غانتس، خصوصًا مع إقرار غير مباشر بالفشل أمام المقاومة، يجب الإشارة إلى أن حالة التخبط والضياع الاستراتيجي في مجلس الحرب والحكومة مرده إلى عوامل عدة:

- قدرة المقاومة في غزّة على إيقاع خسائر كبيرة في صفوف جيش الاحتلال.

- قدرة المقاومة على التكيف مع الحرب ومجاراتها والصمود ومنع العدوّ من الاستقرار الميداني والسياسي.

- قدرة المقاومة على الاحتفاظ بالأسرى واستخدامهم كورقة ضاغطة داخل الكيان.

- نجاح المفاوض الفلسطيني في صد الضغوط وعدم التسليم بما يحقق مصلحة «إسرائيلية».

- ضغط جبهات الإسناد مجتمعة خصوصًا جبهة لبنان التي تعد المأزق الأكبر لتل أبيب.

- فشل واشنطن بتفكيك وحدة الساحات القائمة.

من هنا، يمكن فهم ما أراده بني غانتس، عضو مجلس الحرب، بقوله: «على القيادة أن ترى الصورة الأوسع وتحدد المخاطر وتبلور استراتيجية قومية حديثة»، مقرًا بذلك بفشل الاستراتيجية القائمة، وعليه يجب تغيير السلوك والنظر إلى المستقبل.

هذه العبارة ربما تعكس حجم المعاناة لدى صناع القرار المتخاصمين في الكيان، مع ضبابية المشهد المتعلّق بالمستقبل، إذ يلتقي غانتس مع كثير من المسؤولين في تصوير ما يجري على أنه مرتبط بالوجود والبقاء.

لا شك أن الجميع يريد مواصلة الحرب، لا خلاف في ذلك، والجميع أيضًا يتصرف في جزء من توجهاته ضمن حسابات سياسية داخلية، لكن الأزمة الأكبر هي حول اليوم التالي بعد الحرب في غزّة.

لم يختلف غانتس كثيرًا مع نتنياهو في ما يتعلق بإعادة الأسرى، وكذلك تقويض قوة حماس والسعي لبديل لها، فهو زايد على نتنياهو بقوله: «لو سمع مني لدخلنا رفح قبل شهرين»، لكن من حيث التطبيق والخطة يختلفان كثيرًا، وهو ما يفهم من موجة التراشق المتبادلة التي تلت المؤتمر الصحفي لبني غانتس.

ما كان ملفتًا أن غانتس، الذي حظي خطابه بتأييد المعارضين وعلى رأسهم لابيد، كان يعكس تصورات أميركية علنية، تتعلق باليوم التالي بعد الحرب والخطط لذلك، منها أيضًا التطبيع مع السعودية، وإيجاد بديل لحماس بمشاركة عربية، بغضّ النظر عن إمكانية تنفيذه من عدمه.

إذًا، يعكس غانتس الفشل والواقع المعقّد الذي وصل إليه جيش الاحتلال - عمود الدولة -، وفي جزء منه قد يكون بسبب إدارة الحرب من الفريق الحاكم، لكن الخطورة التي عبر عنها غانتس تكمن في الواقع الاستراتيجي بعد سلسلة الخيبات وتآكل الردع، من غزّة إلى لبنان فاليمن والعراق وصولًا إلى الرد الإيراني الذي دخل ضمن كلّ حساب خصوصًا بعد العجز «الإسرائيلي» عن الرد والانكفاء إلى حدود كبيرة عن المس بالوجود الإيراني الشرعي في سورية.

ثمة مأزق استراتيجي يتعمق، ولا شك أن نتنياهو وفريقه يعلمون ذلك، ومحاولة غانتس قد تكون لإيجاد حالة من الصدمة يعاد بعدها بلورة الأمور بما يخدم مواصلة الحرب بأساليب مختلفة وهذا ما تريده واشنطن كذلك.

إن المأزق أكبر بكثير مما بينه غانتس، لكنّه سجل لنفسه الحديث عن بعضه.

من جهة قوى المقاومة، يبقى الرهان على البندقية، ورغم الثمن الذي تدفعه على امتداد الساحات إلا أنها نجحت في تسجيل نقاط استراتيجية، بعضها مما أقر به بني غانتس عبر مطالبته بتغيير الاستراتيجية والتفكير بالمستقبل.